المحور الأول: أطر فهم موضوع العلاقات الدولية

الدرس الأول: التعريف بدراسة مادة العلاقات الدولية.

تمهيد:

تمثل العلاقات الدولية جزءا من دراسة علم السياسة، ولأن دراسة السياسة الداخلية للدولة هي جوهر دراسة الأنظمة السياسية، ستكون دراسة السياسة الخارجية جزءا رئيسيا من دراسة العلاقات الدولية، لذلك تم اعتبار أن دراسة النظم السياسية ودراسة العلاقات الدولية هما وجهين لواقع واحد اسمه "المجتمع السياسي". فبينما تتناول دراسة السياسة الداخلية المجتمع السياسي المحلي، تترض العلاقات الدولية إلى تلك التفاعلات التي تربط بين مجمل المجتمعات السياسية القومية، المشكِّلة في مجموعها لما يسمى في أبجديات علم السياسة بـ "المجتمع الدولي".

تأسيسا على ما سبق يذهب أهل الاختصاص إلى القول بأن مادة العلاقات الدولية تهتم بـ «دراسة التفاعلات القائمة بين الفاعلين الدوليين»:

1 - **الدراسة:** المقصود بها تلك الدراسة العلمية التي تنصرف بشكل منهجي إلى وصف تلك التفعلات وتفسيرها ومحاولة التنبؤ قدر الإمكان بمسارها المحتمل في المستقبل.

2 - **التفاعلات:** المقصود بها تلك الأحداث المتتباعة والمترابطة التي تتكون من سلسلة أفعال وردود أفعال أعضاء المجتمع الدولي تجاه بعضهم البعض، وغني عن الذكر أن هذه التفاعلات قد تكون تعاونية أو صراعية بكافة

أشكالها السياسية والاقتصادية والفكرية وحتى الرياضية وإن يكن من منظور سياسي.

3 - **الفاعلون الدوليون:** المقصود هنا هو الإشارة إلى وجود فاعلين مؤثرين إلى جانب (الدول/الفاعل الرئيسي)، بل ربما قد تكون بدرجة أكبر بكثير من بعض الدول، وهنا نذكر على سبيل المثال من المنظمات الدولية (الاتحاد الأوروبي) والشركات المتعددة الجنسيات.

هذا ولا بد من الذكر أيضا بأن العلاقات الدولية تهتم بالبحث في السمات الرئيسية للنظام الدولي القائم، هذا الأخير الذي يقصد به علاقات القوى والسيطرة فيما بين دول العالم... من حيث توزيع وتركز عناصر القوة الدولية... وطبيعة ذلك التوزيع وأثره على أطراف العلاقات الدولية. هذا وتهتم دراسة العلاقات الدولية أيضا بتحليل ظارهة الصراعات والنزاعات الدولية والأسباب الكامنة وراء إنشاء المؤسسات والهيئات العالمية، وكذا البحث في كيفية صناعة قرارات السياسة الخارجية للدول، ضف إليه تحليل دور الدبلوماسية باعتبارها تمثل قناة الاتصال الرئيسية للتعامل الرسمي بين الدول. كما تهتم العلاقات الدولية بدراسة الجوانب المختلفة التي أثرت وتؤثر في مجرى العلاقات الدولية عبر التاريخ الحديث والمعاصر، وعموما يمكن القول أن العلاقات الدولية تعالج المسائل التي تظهر على الساحة الدولية.

وتأسيسا على كل ما سبق اتخذت دراسة مادة العلاقات الدولية مكانة هامة طغت على الأفرع الأخرى لعلم السياسة، ولعل ذلك يرجع أيضا إلى الحيوية والديناميكية التي تتسم بها موضوعات مادة العلاقات الدولية.

الدرس الثاني: التعريف بماهية العلاقات الدولية.

إن التعريف بالعلاقات الدولية وماهيتها ليس مسألة سهلة كما يتصورها البعض، بل يكتنفها شيء من الصعوبة والتعقيد، وعلى الرغم من الجهود المبذولة منذ العام 1648 عندما انبثق نظام الدول القومية الحديث إلى حيز الواقع، إثر التوقيع على "معاهدة ووتسفاليا" وحتى يومنا هذا، يصعب على الباحثين إعطاء تعريف جامع وشامل لموضوع العلاقات الدولية.

تكثفت التعاريف حول مفهوم العلاقات الدولية، من التعريفات العامة والشاملة إلى التعاريف البيسطة الضيقة، حيث أن هناك من يعتبر أن مظهرها الأساسي هو تفاعل مجموع السياسات الخارجية لدول المعمورة، ورأى بعضهم الآخر أن العلاقات الدولية تمثل تلك الأنشطة المتنوعة والمختلفة، كالاتصالات الدولية والتبادل التجاري والمباريات الرياضية، بل وحتى تلك العلاقات بين الأفراد الذين ينتمون لدول مختلفة.

وقصد تجاوز هذا الإكشال، ومن أجل التعرف على موضوع وماهية العلاقات الدولية، لا بد من القيام بمراجعة مواقف العلماء والباحثين المختصين في هذا الصدد.

تعريفات الباحثين المختصين لماهية العلاقات الدولية:

ظهرت الكثير من الاجتهادات منذ خمسينيات إلى سبعينيات القرن الماضي، والتي حاول من خلالها علماء ميدان العلاقات الدولية في الولايات المتحدة وأوروبا

إبراز خصوصية هذه المادة في الدراسة العلمية والمنهجية من خلال تحديد مكوناتها الموضوعاتية، حيث تبلورت تعريفات محددة، وردت في أفكار كل من "مورجانتو وهوفمان وكابلن..." وغيرهم.

- رأى "هانس مورجانتو Hans Morganthau" أستاذ العلاقات الدولية الشهير أن «جوهر العلاقات الدولية هو السياسة الدولية، وأن موضوع السياسة الدولية هو الصراع بين الدول المستقلة من أجل القوة».
- أما "ستانلي هوفمان Stanely Hoffman" الذي راجت أفكاره في الستينيات فيقول «إن حقل المعرفة للعلاقات الدولية يعني العوامل والنشاطات المؤثرة في السياسات الخارجية وفي قوة الوحدات الأساسية المكونة لعالمنا».
- هذا ويذهب "كارل هولتسي Karl Holtsy" إلى القول بأن «تنشؤ العلاقات الدولية داخل كل مجموعة من كيانات سياسية، قبائل، أمم، إمبراطوريات، تربط بينها تفاعلات تتميز بقدر كبير من التواتر، وفق شيء من الانتظام».
- في حين يرى "مورتن كابلن Morton Kaplan" بأن العلاقات الدولية تمثل «مجموعة المبادلات التي تعبر الحدود الوطنية أو تحاول عبورها».

انطلاقا من كل هذه التعريفات يمكننا أن نعرف العلاقات الدولية بأنها «كل علاقة ذات طبيعة سياسية أو من شأنها إحداث انعكاسات وآثار سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة واحدة».

الدرس الثالث: التطور التاريخي لظاهرة العلاقات الدولية.

إذا كانت العلاقات الدولية لم تتبلور كعلم في مجال المعرفة إلا خلال الربع الأول من القرن العشرين، فإن العلاقات السياسية نشأت منذ أن وجدت التكتلات البشرية، وقامت بين القبائل روابط الجوار وحصلت فيما بينا الغزوات، حيث اضطرت تلك الجماعات منذ نشأتها في سبيل الحفاظ على بقائها وتأمين حاجاتها إلى التعامل مع غيرها من التكتلات.

التأريخ للعلاقات الدولية:

لا شك أن محاولة الرجوع إلى نقطة البداية في العلاقات الدولية أمر متعذر، لأن العالم ما فتئ منذ نشأته يشهد علاقات دولية بصرف النظر عن نوع الأشكال السياسية للدول، وكل حقبة تاريخية لها مرتكزات تختلف عن غيرها، من العصور القديمة إلى الوسطى ثم العصر الحديث، حيث أن العلاقات الدولية كانت قبل الفترة الأخيرة، قائمة في الغالب على الحروب والتوسع بين مختلف الممالك والامبراطوريات كقدماء المصريين والآشوريين والبابليين والفينيقيين والفرس والإغريق....إلخ. لكن سيكون من الأفضل ألا نغرق في أعماق التاريخ التي لم يعد لها انعكاس على عصرنا الحديث، الذي يتفق الكثير من الدارسين أن بدايته تعود إلى القرن 17، الذي شهد توقيع " **معاهدة ووتسفاليا** " التي أنهت حروبا دينية بين الكاثوليك والبروستانت، دامت حوالي 30 سنة، وعليه اعتُبرت تلك المعاهدة الأساس الذي قامت عليه العلاقات الدولية حتى قيام الثورة الفرنسية.

وإذا جعلنا معاهدة ووتسفاليا هي نقطة البداية لتاريخ العلاقات الدولية الحديث، فإنه يمكن لنا أن نحدد 06 مراحل مرت بها العلاقات الدولية:

المرحلة الأولى: من معاهدة ووتسفاليا إلى الحرب العالمي الأولى.

يؤرَخ لهذه بداية من انعقاد معاهدة ووتسفاليا العام 1648، حيث كانت البداية الرسمية لظهور الدولة بمفهومها الحديث، أي الدولة ذات السيادة الكاملة والتي مثلت منذ ذلك الحين الفاعل الدولي الوحيد حيث تأسس نظام البعثات الدبلوماسية وتبادلت الدول فيما بينها السفارات. غير أن هذه الصورة السلمية لم تحقق أهدافها بسبب التسلح والزيادة في الحركة الاستعمارية بما أدى في النهاية إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى، التي أشرت على نهاية هذه المرحلة.

ولعل أبرز الخصائص التي ميزت العلاقات الدولية خلال هذه المرحلة هو النظام الدولي المتعدد الأقطاب الذي كان قائما آنذاك، فلم تكن هناك هيمنة أحادية ولا ثنائية، وإنما كانت هناك أقطاب متعددة، مثل الإمبراطوريات البريطانية والعثمانية والنمساوية-الهنغارية والقيصرية-الروسية.

هذا ولعل من أبرز الأحداث التي ميزت هذه الفترة ما يلي:

1 -<u>الثورة الإنجليزية:</u> التي قاوم بها البرلمان الإنجليزي ضد الملك "جيمس الثاني" سنة 1688 الذي عُزل واستخلف بابنته "ماري"، حيث تم تقليص صلاحيات الملك لصالح البرلمان.

2 -<u>الثورة الأمريكية:</u> وهي ثورة قام بها سكان أمريكا غير الأصليين عام 1775 ضد بريطانيا بهدف الاستقلال عنها، وأدت إلى نشوء دولة مستقلة اسمها أمريكا، كانت في بدايتها اتحادا كونفدراليا، ثم تحولت إلى فيدرالية بمسمى "الولايات المتحدة الأمريكية".

3 -الثورة الفرنسية: التي قادها الشعب الفرنسي ضد الملك "لويس السادس عشر" في عام 1789، وكان لها أثر كبير في الحياة السياسية الدولية لا سيما الأوروبية، فقد كانت بداية انهيار النظام الملكي المطلق وظهور النظام الجمهوري.

المرحلة الثانية: الحرب العالمية الأولى.

امتدت مرحلة الحرب العالمية الأولى من عام 1914 إلى عام 1919، وكانت هذه المرحلة مرحل مخاض عسير وتحولات عميقة في النظام الدولي، فقد انهارت نظم ونشأت نظم، وتبادلت القوى الكبرى مواقعها، انتصرت قوات الحلفاء ممثلة في بريطانيا العظمى وفرنسا، على حساب قوات المحور، ونتج عن ذلك انهيار أربع إمبراطوريات ممثلة في الألمانية والعثمانية والنمساوية المجرية والقيصرية الروسية، مما أدى إلى نشوء دول مستقلة جديدة. ونذكر من أبرز الأحداث التي جرت خلال هذه المرحلة وكان لها الأثر البالغ في التاريخ اللاحق للعلاقات الدولية ما يلي:

1 - توقيع اتفاقية "سايكس بيكو" السرية في عام 1916، التي تم بموجبها تقاسم النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في منطقة الشرق الأوسط.

2 - انطلاق ما سمي بـ "الثورة العربية الكبرى" في عام 1916 التي أطلقها الشريف حسين بدعم من البريطانيين ضد الدولة العثمانية.

3 - اندلاع الثورة البلشفية في روسيا التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية القيصرية الروسية في عام 1917، وصعود الشيوعيين إلى دفة الحكم.

4 - تقديم "آرثر جيمس بلفور" وزير الخارجية البريطاني في 02 نوفمبر 1917 وعدا لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

اتسمت الفترة التي أعقبت مهاية الحرب العالمية الأولى بذهول المجتمع الدولي جرَّاء ما حدث في أوروبا من قتل وتدمير لم يسبق لهما مثيل في التاريخ، رغم أن العامل الديني الذي لطالما كان الغربيون يعزون حروبهم في السابق إليه كان مغيبا تماما خلال هذه الحرب، التي نسفت شعار "العقلانية الأوروبية". وعلى هذا الأساس جاءت ملامح الفترة التي أعقبت الحرب متأثرة بنتائجها، ولعل أبرز خصائصها ما يلي:

1 - بداية ظهور فاعلين دوليين من غير الدولة، وعلى رأسهم "عصبة الأمم".
2 - بروز الأيديولوجيات الشمولية وانتشارها، مثل النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا والشيوعية في الاتحاد السوفييتي وغيرهم.
3 - الأزمة المالية العالمية سنة 1929 التي حصلت بفعل انهيار سوق الأسهم الأمريكية، بما أدى إلى انهيار اقتصادي شمل معظم أقطاب العالم، كانت نتيجة انهيار الليبرالية التقليدية وظهور المذهب الكنزي.

المرحلة الرابعة: مرحلة الحرب العالمية الثانية.

كان لسياسات هتلر التوسعية التي أراد منها الهيمنة على أوروبا، الأثر الكبير في اندلاع حرب عالمية ثانية مكنته من إسقاط الكثير من الدول الأوروروبية التي تحالفت مع الولايات المتحدة في مواجهة دول المحور التي جمعت إلى جانب الألمان (إيطاليا واليابان)، انتهت الحرب بانهزام دول المحور وتدمير دول الحلفاء باستثناء الولايات المتحدة التي لم تتضرر نتيجة بُعدها الجغرافي عن مسرح الحرب.

لم تكن لهذه المرحلة خصائص لافتة سوى تحالف الأيديولوجيات والعقائد المتضادة والمتناحرة، حين تحالف الاتحاد السوفييتي ذو العقيدة الشيوعية مع الغرب

ذي العقيدة الليبرالية، وكان في ذلك إعلان للنظرية الواقعية عن تسيدها دراسة وتفسير العلاقات الدولية بالاستناد إلى معيار المصلحة الوطنية للدول.

المرحلة الخامسة: مرحلة الحرب الباردة.

يطلق مصطلح "الحرب الباردة" على الفترة الزمانية التي شهدت صراعا بين المعسكر الشرقي الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفييتي، والمعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وانتهت بسقوط الاتحاد السوفييتي العام 1989. وعن أسباب الحرب، يرى البعض أنها لم تكن حقيقية، سوى أن واشنطن افتعلتها لتبرير رغبتها في الهيمنة على العالم، وفي هذا الصدد قال اليساري الأمريكي "نعوم تشومسكي" «الحرب الباردة ذاتها استخدمت كأداة لتبرير تفوق القومية المستقلة، سواء في أوروبا أو اليابات أو العالم الثالث».

وقد تمتعت الفترة الحرب الباردة بعدة خصائص نذكر منها:

1 - شكلت الحرب البداية الحقيقية والفعلية لظهور لاعبين دوليين آخرين مثل المنظمات الدولية والشركات المتعددة الجنسيات، حيث رصدنا انطلاق وتوسع نشاط أكبر منظمة عالمية وهي هيئة الأمم المتحدة.

2 - سيادة الثنائية القطبية على النظام الدولي، فبعد انهيار الإمبراطورية البريطانية والفرنسية، ووال القوة الألمانية واليابانية، لم يعد في النظام الدولي سوى قطبين كبيرين، الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي.

3 - بروز ظاهرة الحروب بالوكالة، حيث أدى امتلاك قطبي النظام الدولي أسلحة نووية تحقق توازن القوة بينهما إلى عدم انجرارهما لأي حرب مباشرة، لكن هذا لم يمنع من وجود حروب بالوكالة، أي حروب خاضتها دول أخرى نيابة عن القوتين

لا أصالة عن ذاتها، ومن أبرز تلك الحروب: حرب الكوريتين بين عامي 1950-1953.

المرحلة السادسة: مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

تأتي هذه المرحلة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي بداية من العام 1989 والذي سمح للولايات المتحدة التفرد بالهيمنة على العالم وغدت القطب الأوحد بلا منافس، وهو الأمر الذي أدخل النظام الدولي مرحلة انتقال أسفرت الكثير من التحولات الاستراتيجية في ميزان القوى الدولي وفي سياسات الدول المسايرة للهيمنة الأمريكية والمناهضة لها على حد سواء، وهو الأمر الذي تغيرت بالتبعية معه القواعد الحاكمة لتحركات الفاعلين الدوليين.

هذه هي خلاصة تاريخ العلاقات الدولية السياسي خلال فترة القرن العشرين ويمكننا أن نلاحظ أن لغة الحروب والعنف والتنافس والصراع هي اللغة التي كان يتحدث بها النظام الدولي طوال تلك الفترات.

محاضرات الأستاذة معمر خديجة